



خطبة صلاة الجمعة 29 / 5 / 2020 للشيخ الطيب محمد خير الشعال، في جامع أنس بن مالك، دمشق - المالكي

(كيف أحافظ على مكاسب رمضان؟)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرشدًا، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، وصفيُّه وخليته، خيرُ نبيِّ اجتهابه، وهدىً ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدين كله ولو كره الكافرون، ولو كره المشركون، ولو كره من كرهه، اللهم صلِّ على سيدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أما بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى، وأحُتكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال الله تعالى: ﴿ قُلْ أُوْحِي إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (I) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴾ [الجن: 1، 2].

قال ابن كثير: يهدي إلى الرُّشد أي يهدي إلى السُّداد والنَّجاح.

وقال سبحانه: ﴿ رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾ [الكهف: 10].

قال المفسرون: معنى قوله: ﴿ وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾: يَسِّرْ لَنَا طَرِيقًا سَدِيدًا لِلْخَيْرِ وَلِلْحَقِّ، وَالرَّشَدُ وَالرُّشْدُ هُوَ الْاهْتِدَاءُ لَطَرِيقِ الْحَقِّ.

أخرج أبو داود والترمذي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ رَشَدَ، وَمَنْ يَعْصِيهِمَا فَإِنَّهُ لَا يَضُرُّ إِلَّا نَفْسَهُ وَلَا يَضُرُّ اللَّهَ شَيْئًا».

أيها الإخوة:

هذه الخطبة التاسعة عشرة في سلسلة (دليل إرشادي)، تتناول كلُّ خطبة منها مشكلة اجتماعية أسرية أو مالية أو أخلاقية وقع فيها عددٌ منَّا وهو مهمتهم لمعرفة طريق الخلاص منها، وتُقدِّم الخطبة مادة إرشادية للمبتلى، تعينه على رؤية الطريق وتُمكنه من الاهتداء للصواب في التعامل مع ما وقع فيه.

وليست الخطب قوالب جاهزةً تصلح لتطبيقها على جميع الواقعين بالمشكلة، لكنها قواعدٌ مساعدة تفيد في تبصر طريق الحل، إذ الاختلاف بين البشر سنة والقضايا الاجتماعية تحتاج مرونة.

عنوان خطبة اليوم:

(كيف أحافظ على مكاسب رمضان؟)

المسألة:

في رمضان من كلِّ عامٍ تزداد همتي للطاعات والبعد عن الموبقات، أجدني محافظاً على فرائضي مؤدباً لنصيب جيد من النوافل، تاركاً لعادات لا ترضي الله، عازماً على عدم العود إليها بعد رمضان، ولكن ما إن ينتهي رمضان حتى تجدي أعود كما كنت؛ فرائضي لا تسرُّ وبعض عاداتي تضرُّ ونوافلي مني تفرُّ، حدث هذا معي رمضانات عديدة، فكيف أحافظ على مكاسب رمضان قبل أن تتفلت مني؛ أرشدوني..

الدليل الإرشادي:

في الدليل ثلاث فقرات: رمضان لا مثيل له بين الشهور، لكل عامل شرةٌ وفترة، معينات على الثبات.

أولاً: رمضان لا مثيل له بين الشهور:

لرمضان ميزة خصه الله تعالى بها على الشهور:

فأيُّ شهر يوازي شهراً أنزل فيه القرآن؟!

وأي شهر يداني شهراً فيه ليلةٌ خيرٌ من ألف شهر؟!

وأي شهر يقارب شهراً فرض فيه الصوم؟!

فما يجده أحدنا في رمضان من الهمة في الإقبال على الخير، والعزيمة على الإدبار عن الشر، والمعونة على الطاعات والانصراف عن الزلات؛ لا يجده بلا ريب في شهر غيره.

والاشتغال في المبرات في رمضان أقوى منه في باقي الشهور وعند جميع المؤمنين، روى الإمام

مسلم في صحيحه عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَجْتَهِدُ فِي

الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مَا لَا يَجْتَهِدُ فِي غَيْرِهِ».

فإذا وجدت نفسك في رمضان مقبلاً على الخير مبتعداً عن الشر أكثر منك في غير رمضان فاعلم أنه شرف الزمان وفضيلة الوقت، فاغتنمها في كل رمضان وفي كل مبارك من الزمان. وإذا رأيت نفسك بعد رمضان مختلفاً عنك في رمضان فاعلم أن الأمر يصيب غيرك كما يصيبك، على أن هناك خطأ أحمر يجدر بك ألا تنزل تحته في طريق سيرك إلى الله تعالى في أي وقت من الأوقات أو شهر من الشهور.

هذا الخط الأحمر هو: ترك الحرام، وإتقان الفرائض، وأداء ما استطعت من النوافل، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وإن أخطأت فُتِبْ، وإن قصَّرت فَعُدْ، وإن نسيت فاذاكر.

ويعينك على ذلك مجلسُ علمٍ، ومجلسُ ذِكْرٍ في الأسبوع، وصاحبٌ صالح.

ثانياً: لكل عامل شِرةٌ وفترة:

أخرج الإمام الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ شِرَّةً، وَلِكُلِّ شِرَّةٍ فِتْرَةٌ، فَإِنْ كَانَ صَاحِبُهَا سَدَّدَ وَقَارَبَ فَارْجُوهُ، وَإِنْ أُشِيرَ إِلَيْهِ بِالْأَصَابِعِ فَلَا تَعُدُّوهُ»**.

الشِرةُ النشاط والفترة الفتور، والمراد أن عامل الخير حيناً ينشط وحيناً يفتر، فإن أصابه هذا الأمر فليعلم أنه عامٌّ يصيب كل عامل، وليجتهد أن يكون في فتوره موافقاً سنة رسول الله ﷺ ولا ينزل عنها.

وقد أخرج أبو داود في سننه عن رسول الله ﷺ: **«أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّكُمْ لَنْ تُطِيفُوا - أَوْ لَنْ تَفْعَلُوا - كُلَّ مَا أَمَرْتُمْ بِهِ، وَلَكِنْ سَدِّدُوا وَأَبْشِرُوا»**.

أي ابدلوا ما تستطيعون من الأعمال الموافقة الشرع، وأبشروا.

فالمراد أنك إن وجدت في نفسك فتوراً عن الطاعة بعد إقبال فاعلم أن هذا عامٌّ يصيب كل عامل، فاجتهد في فتورك ألا تنزل عن الخط الأحمر. وسدد وقارب وأبشر بالخير.

هذا الخط الأحمر هو: ترك الحرام، وإتقان الفرائض، وأداء ما استطعت من النوافل، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وإن أخطأت فُتِبْ، وإن قصَّرت فَعُدْ، وإن نسيت فاذاكر.

ويعينك على ذلك مجلسُ علمٍ، ومجلسُ ذِكْرٍ في الأسبوع، وصاحبٌ صالح.

ثالثاً: مُعينات على الثبات:

مجلس العلم في الأسبوع، ومجلس الذكر، والصاحب الصالح، ثلاثة معينات لك على الحفاظ على مكاسب رمضان.

فالعلم كاشفٌ يُريك الصواب من الخطأ والحلال من الحرام، والضيء من الظلمة، والمفيد من الضار. وهو الأنيس في الوحدة والصاحب في الخلوة، وطلبه عبادة، ومُدارسته تَسْبِيح، والسعي إليه جِهَاد، وتعليمه من لَا يُعَلِّمُهُ صَدَقَةٌ.

وأما الدِّكْرُ فكيف لا يَبْتُ من كان لله ذَاكِرًا، والله تعالى يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِتْنَةً فَابْتُؤُوا وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال: 45]، فقرنَ تعالى بين الدِّكْرِ والثباتِ في أصعبِ اللحظات.

قال أحدُ العلماء: (بماذا استعانَ يوسفُ عليه السلام في الثباتِ أمامَ فتنةِ المرأةِ ذاتِ المنصبِ والجمالِ لما دعتُهُ إلى نفسها؟

ألم يدخل في حصن: ﴿مَعَاذَ اللَّهِ﴾ [يوسف: 23]، فتكسرت أمواجُ الشهواتِ على أسوارِ حصنه؟ وكذا تكون فاعليَّةُ الأذكارِ في تثبيتِ المؤمنين).

ثم إن إخوانك الصالحين يثبتونك بما معهم من آياتِ الله والحكمة؛ فالزمهم وعش في أكنافهم، وإياك وصاحبِ السوءِ فإنه يرديك ﴿وَاجْعَلْ لِي وِزِيرًا مِّنْ أَهْلِي﴾ (29) هَارُونَ أَخِي (30) أَشَدُّ بِهِ أَزْرِي ﴿ [طه: 29 - 31].

وبعد أيها الإخوة:

نقول للأخ صاحب المسألة وأشباهه: رمضان لا مثيل له بين الشهور، وفتورك بعد إقبالك يُصاب به الكثيرون، فلا بأس عليك ما لم تنزل عن الخط الأحمر، والخط الأحمر هو: ترك الحرام، وإتقان الفرائض، وأداء ما استطعت من النوافل، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وإن أخطأت فُتِب، وإن قصرت فُعدت، وإن نسيت فاذاكر.

ويعينك على ذلك مجلسُ علمٍ، ومجلسُ ذِكْرٍ في الأسبوع، وصاحبٌ صالح، والله أعلم. ختاماً: أخرج الإمام مسلم بإسناده عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال رسول الله **✕**: «مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَنْتَفِعَ أَخَاهُ فَلْيُفْعَلْ».

والحمد لله رب العالمين